حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية
ISSN: 1112-7880 EISSN: 2602-5361
المجلد 18/العـدد 2 (ديسمبر 2024)، ص161- 180

مقاربة إثنوغرافية لتحديد طبيعة المعبود بكاكس

Ethnographic approach to determining the nature of the deity Bacax

زرارقة وسام[1*]، معلم محمد فوزي[2]
[1] مخبر التاريخ للأبحاث والدراسات المغاربية – جامعة 8 ماي 1945- قالمة (الجزائر)
zerarka.wissam@univ-guelma.dz
[2] جامعة 8 ماي 1945- قالمة (الجزائر)، maallem.mohammedfawzi@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/20 تاريخ القبول: 2024 /05/26 تاريخ النشر: 2024/12/01

ملخص:

يدور هذا البحث حول موقع ذو تكوين طبيعي يكتسي قيمة تاريخية وأثريّة، بما أبرزته المصادر الإيبيغرافية المنقوشة على جدرانه، على أنّ الحكّام المنتخبون وبوجه الخصوص طبقة الماجيسترا من دوتينس (Dothenses) وتيبيليس (Thibilis)، كانوا يقومون بتبجيل معبود محلي يعرف بـ بكاكس داخل مغارة جبل الطاية المنتصب في الجهة الشمالية الغربية من ولاية قالمة. الذي سوف نتطرّق إلى هويّته عبر تحليل محتوى النقيشات اللاتينية المنجزة على شرفه تحليلا علميا بمقاربة إثنوغرافية ساعدتنا في تحديد طبيعته.

كلمات مفتاحية: *معبودات؛ بكاكس؛ قالمة؛ طقوس؛ مغارة؛*

Abstract:

This research is structured around a site resulting from a natural formation which has historical and archaeological value, as indicated by the epigraphic sources engraved on its walls, which local elected officials, in particular the class of magistrates of Dothenses and Thibilis, worshiped a local deity known as Bacax inside the cave of Djebel Taya in the northwestern part of Guelma. Of which we will discuss his identity by scientifically analyzing the content of the Latin inscriptions engraved in his honor with an ethnographic approach in order to determine its nature.

***key words**: Deities; Bacax; Guelma; Ritual; Cave;*

* المؤلف المرسل: زرارقة وسام، الإيميل : zerarka.wissam@univ-guelma.dz

– مقدمة:

أثّرت المظاهر الطبوغرافية على المعتقدات الدينية للمجتمعات المحليّة القديمة، بتبجيل قداستها الكامنة في علو الجبال والتصدّعات الجيولوجية والجلاميد المعزولة والمغارات الطبيعية. ويدور هذا البحث حول موقع ذو تكوين طبيعي يكتسي قيمة تاريخية وأثريّة بما يكتنزه من مصادر إيبيغرافية ذات طابع ديني.

فالموقع محل البحث عبارة عن مغارة موجودة في الشرق الجزائري، بالتحديد في الجهة الشمالية الغربية من ولاية قالمة. تتميّز هذه المنطقة بوفرة الأراضي ذات مساحات زراعية خصبة والتي تحتوي على مؤهلات حيوية عديدة ومتنوعة، سمحت باستيطان العنصر البشري، كما ساهمت في حركية الشعوب القديمة وهذا منذ فترات وحقب ضاربة في عمق التاريخ. فإلى جانب المساحات الزراعية الخصبة التي تعتبر مصدر عيش وعامل استقرار، هناك عنصر الماء الذي ساهم في إحيائها بمنسوب متوازن من الأمطار والكافي لتخصيب الأراضي كل هذه العوامل منحت للمنطقة ميزة فلاحية ورعوية تضفي على المكان جانب حيوي واستراتيجي، يجلب العنصر البشري وتجعله يستقر بها. ولهذا نلاحظ أن بمحيط مغارة الطاية وضواحيها، هناك العديد من المواقع الأثرية والتاريخية ظهرت ومرّت بفترات زمنية مختلفة، تتكوّن من مشاتي وقرى قديمة ومنشآت فلاحية معزولة.

غير بعيد من هنا سجّلنا عدة محطات تاريخية قد يكون لها علاقة بموضوع الدراسة، ونذكر الموقع الميغاليثي بالركنية الذي يحتوي على نوعين من المدافن; المصاطب والحوانيت، هذه الأخيرة متأخرة التأريخ بناءً على وسائل حفر ونحت قبورها والتي تتجلى في وسائل معدنية تاريخية مماثلة لتلك المعاصرة للفترة البونية والرومانية، ما يستدعي فراضية علاقتها بالمغارة في أوقات سابقة لتقديس المعبود بكاكس، وأيضا بالمسافة القصيرة التي تربط بينهما.

في محيط أوسع نجد عدّة بلدات ومدن ذكرتها المصادر الايبيغرافية اللاتينية المنقوشة على جدران المغارة والتي تذكر حكّام وبوجه الخصوص طبقة الماجيسترا من دوتينس (*Dothenses*) وتيبيليس (*Thibilis*)، هذه الأخيرة كانت تتصل بالمغارة عبر مسلك يمر بموقع أكواي تيبيليتناي (*AquaeThibilitanae*).

ويبقى موضوع المعبود بكاكس يطرح العديد من التساؤلات لا سيما منها طبيعة عبادته والهدف المتوخّى من تبجيله، والتي سنحاول التعرّف عليها بمقاربة اثنوجرافية.

1. الإطار الطبيعي لمجال الدراسة:

1.1. الموقع الجغرافي لمغارة جبل الطاية:

صُنّفت مغارة جبل الطاية ضمن قائمة المواقع والمعالم الطبيعية بتاريخ 19 ديسمبر 1927 وهذا طبقا للمادة 62 من الأمر رقم 67-281 المؤرخ في 1967/12/20 والمتعلّقة بالحفريات والمحافظة على المواقع والمعالم التاريخية والطبيعية. تقع المغارة ببلديّة بوهمدان، دائرة حمّام دباغ في الجهة الشمالية الغربية لولاية قالمة، (الصورة 1). وتحدّها من مختلف الجهات المناطق التالية (الجدول1):

الجدول رقم 1: يمثّل أهم ما يحدّ مغارة الطاية.

المنطقة	الجهة حسب المغارة	المسافة على مسار الطائر
مدافن الركنية	الجهة الشرقية	11كلم
أكواي تيبيليتناي (حمّام دباغ)	الجهة الجنوبية الشرقية	14,260كلم
تيبيليس (سلاّوة عنونة)	الجهة الجنوبية الشرقية	17,800كلم
كالاما (قالمة)	الجهة الجنوبية الشرقية	28كلم
بوهمدان	الجهة الجنوبية الغربية	5كلم
برج صباط	الجهة الجنوبية الغربية	13كلم

المصدر: من إعداد الطالبة

الصورة 1: موقع مغارة الطاية.

المصدر: (Google earth) بتصرّف الطالبة.

تحديدها الجغرافي ينحصر على مستوى مدخل المغارة حسب إحداثيات لامبير (Coordonnées Lambert) بـ 365.650 شمالا و896.300 شرقا، وفق الخريطة الطبوغرافية لورقة حمّام المسخوطين رقم 53 ذات السلّم 50.000/1 (الخريطة 1).

الخريطة 1: مدخل المغارة حسب الخريطة الطبوغرافية[1]

المصدر: الخريطة الطبوغرافية رقم 53 لحمام المسخوطين، سلم 50000/1

أمّا إحداثياتها الجغرافية فتمّ تحديدها بواسطة جهاز تحديد المواقع عبر الأقمار الصناعية (GPS)، فهي تقع على نقطتي 30.443 °36 Nشمال خط الاستواء و 07.190 °07 E شرق خط غرينيتش، أمّا ارتفاعها فوق مستوى سطح البحر فيقدر بـ 1028م على مستوى مدخل المغارة الكائن على الحافّة الشمالية لجبل الطاية (الشكل 1).

الشكل 1: مقطع طبوغرافي شمال جنوب لجبل الطاية

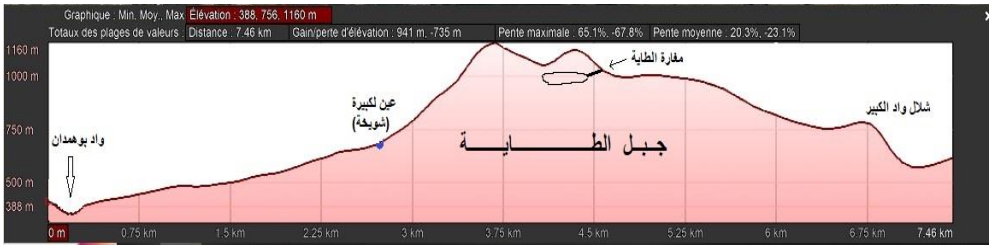

المصدر: من إنجاز الطالبة ببرنامج Google earth

2.1. الطبيعة الجيولوجية:

يكتسي هذا العنصر أهميّة بالغة في نشأة وتكوين مغارة الطاية حيث تباينت الطبيعة الجيولوجية الواقعة ضمن موضوع هذا البحث بفضل طبيعة المادّة وتاريخ تكوينها وأثر تفاعلات

الحركة التكتونية من انزلاقات، وانكسارات عرفتها المنطقة خلال الأزمنة الجيولوجية. هذه الظواهر الطبيعية أثرت بشكل مباشر على نوعية سطح المنطقة وتباين تكويناتها وطبوغرافيتها.

وفي هذا الصدد، سجّل الباحث الجيولوجي بول دولو .Deleau P عدّة تصدّعات وانكسارات بفعل الالتواءات الموضّحة في المقطع الجيولوجي المرفق، والتي سمحت ببروز مختلف قمم جبل الطاية ومنها بروز مدخل المغارة (الشكل 2 والصورة 2).

الشكل 2: مقطع جيولوجي شمال جنوب لجبل الطاية

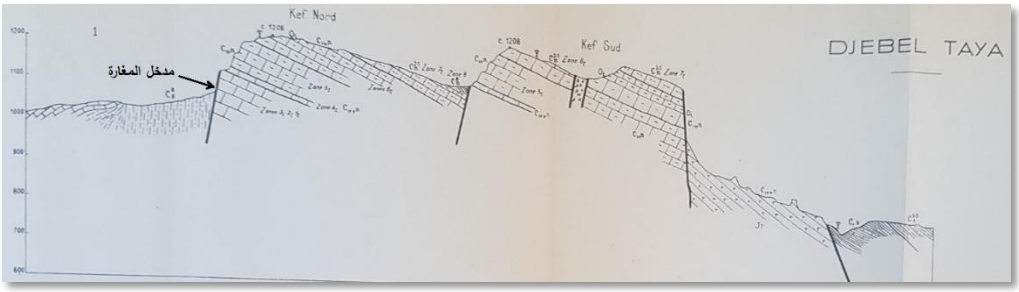

المصدر: [2] Deleau P., 1938, fig. XXXIII.

الصورة 2: الواجهة المطابقة للمقطع الجيولوجي أعلاه.

المصدر: تصوير الطالبة

الناتج عن هذه الظاهرة الطبيعية وانكشاف رواق المغارة الذي كان في الأصل عبارة عن واد تحت أرضي Galerie souterraine بقي جزئه الشمالي تحت السطح الحالي ومائه يصبّ حسب محور الرواق الحالي نحو الشمال، أين قمنا برحلة استكشافية شمال مدخل المغارة ووقفنا على منبع شديد الجريان يدعى بشلال واد الكبير، أمّا جنوب الرواق فالمياه تسرّبت لتنبع فبعل انكسار رابع على مستوى عين شويخة (الشكل 3)

الشكل 3: مقطع بياني يوضّح بروز رواق مغارة الطاية إلى السطح، بفضل الظواهر الجيولوجية.

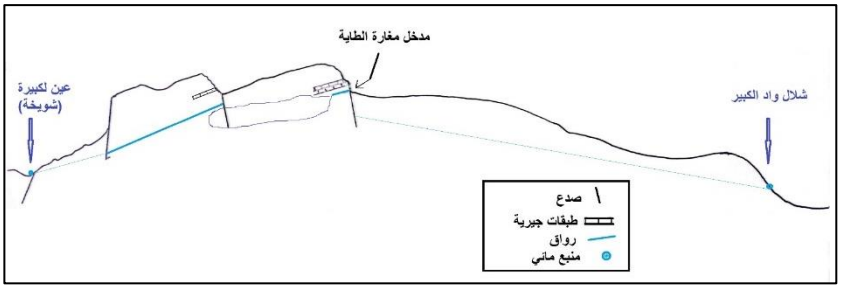

المصدر: من انجاز الطالبة

2. وصف مغارة الطاية:

اعتمادا على المعاينة الميدانية التي قمنا بها، لاحظنا أن مدخل مغارة الطاية يقع في الجهة الشمالية للجبل من نفس الاسم، في حين هذا الأخير يحتوي على العديد من المغارات الطبيعية (الصورة 3) وهي على أحجام وأشكال مختلفة، لكن تظل مغارة المعبود بكاكس أكبرهن حجما وأعمقهن.

الصورة 3: بعض مغارات جبل الطاية.

المصدر: تصوير الطالبة

يقدر متوسّط عرض وارتفاع مدخل المغارة بحوالي 5م وكلّما توغلنا إلى الداخل تتقلّص الأبعاد لتصل إلى ما يقارب 3،5م عرضا و3م ارتفاعا. وفيما يخص سقف المغارة فيأخذ شكل رأس الحربة. بعد مدخل المغارة مباشرة هناك رواق يدعى برواق النقيشات (le couloir des inscriptions)، يتراوح ما بين 34 و36م، وارتفاعه يقارب 3م، أمّا الأرضية فهي ذات سطح ذو انحدار بسيط يظهر وكأنّه مدرّج طبيعيا (الصورة 4).

الصورة 4: تمثل أرضية رواق النقيشات.

المصدر: تصوير الطالبة

سجّلت في رواق النقيشات على كلا جوانب جدرانه نقيشات لاتينية، لاحظنا أنّ الجانب الأيسر يحتوي على نقيشات أكثر عددا مقارنة بالجانب الأيمن الذي تبدأ نقيشاته على بعد 3م، على عكس الجهة المقابلة له التي تنتشر عليها ابتداءً من مدخل المغارة (الصورة 5). البعض من النقيشات نحتت على مساحات مستوية، أمّا البعض الأخر نجدها داخل تجاويف طبيعية دون تعديل في الجدران.

الصورة 5: تمثل توزيع النقيشات على مستوى مدخل المغارة.

المصدر: تصوير الطالبة

بعد رواق النقيشات تأتي قاعة النزول (salle de la descente)، وتفتح في عمق هذه الأخيرة قاعة التيبيليسيون (les Thibilitains)، كما تؤدي قاعة النزول إلى قاعة أخرى تدعى

بقاعة بيبرنار (salle de Peybernard) المكتشفة سنة 1942، ثم يأتي بئر يدعى ببئر مختار(puits de Mokhtar)، والذي يؤدي إلى قاعة الجماعة (salle de la Djemaa)، من خلال هذه القاعة يمكن العبور إلي قاعة أخرى اكتشفت سنة 1941 تسمى قاعة عشيرة ميلو (salle du clan Millot)، وأخيرا نجد قاعة الشوك الأزرق (salle de chardon bleu)[3] (الشكل 4).

الشكل 4: يمثل مقطع طولي لمغارة جبل طاية.

المصدر: [4] BARONE R., 1944. p.83.

إلى جانب هذه القاعات، هناك العديد من الغرف والأروقة والقاعات الصغيرة نذكر منها: رواق الشرفة (Galerie du balcon)، رواق الدب (Galerie de l'ours)، رواق فلونيي (Galerie Flogney)، ورواق كلاميل(Galerie challamel) (الشكل 5).

الشكل 5: يمثّل مختلف قاعات وغرف مغارة الطاية

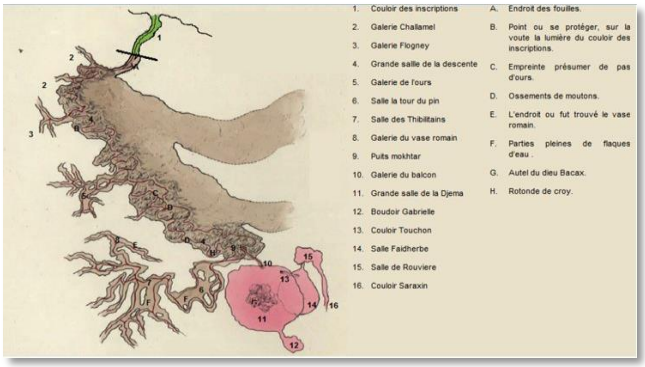

المصدر: [5]BOURGUIGNAT J.R., 1870, P.15

لكن ما يهمّنا في هذه الدراسة هو رواق الكتابات الذي يحتوي على أربعة وثمانون (84) نقيشة لاتينية والتي سيتم التطرّق إليها وتشغيلها في هذا المقال.

3. التعريف بالمعبود بكاكس وأصل تسميته:

1.3. التعريف بالمعبود بكاكس:

هو معبود محلّي ذو أصول ليبية[6] ارتبط بعبادة المغارات لاسيما مغارة الطاية التي تعتبر مركز تقديسه، لم يعرف هذا المعبود شعبية وانتشار في المناطق الأخرى، بل اقتصر تبجيله بمغارة الطاية فقط ولم يذكر اسمه إلاّ بهذه المغارة. خصّصت لشرفه إنجاز أربعة وثمانون نقيشة خلال القرن الثالث الميلادي، من طرف حكّام تيبيليس ودوتينس لاسيما طبقة الماجيسترا.

2.3. أصل تسميه المعبود بكاكس :

نقشت على جدران مغارة جبل الطاية نصوص لاتينية ذات طابع نذري مكرّسة للمعبود بكاكس، حيث اختلفت الآراء في تحديد معنى اسمه، لكن اتفق العديد من الباحثين أمثال (CAMPS G.) على أن هذا المعبود له أصول محلية، وأن صيغة اسمه ليبية لا تتوفر فيها أيّة صلة بالأنوماستية الرومانية، وما هو إلاّ اسم محلي كُتب بأحرف لاتينية فقط.

إنّ معنى اسم المعبود بكاكس بقي مبهما ولم يتم التعرّف على أصله ومعناه الحقيقي، وهناك فرضيات بهذا الأمر فقط وهي:

- الفرضية الأولى: تنص على أن أصل ومعنى اسم بكاكس ليس لها أيّة علاقة بالتسمية الفينيقية، ولا الرومانية، وإنّما هو اسم محلي ليبي أطلق من طرف السكان المحليين، وربما كانت صيغة نطقه هي: أبكاس[7](Abekkas).

- الفرضية الثانية: حسب (MONCEAUX P.) أنه ليس من السهل إعطاء مفهوم دقيق وتحديد أصل تسمية المعبود بكاكس، إلاّ أنه يعتقد أن أصل التسمية هو عبري يعني التوسّل والطلب والدعاء[8].

لم يذكر المعبود بكاكس في منطقة أخرى باستثناء نقوش جبل طاية إلاّ أنه لا يمكن أن نهمل النقيشة اللاتينية التي تحمل رقم 20702 VIII *CIL* [9] المعثور عليها بمدينة صالداي (بجاية) بموريطانية القيصرية، التي تحمل اسما وحيدا لشخص محلي يسمى باكواكس، جاءت كتابته على هذا النحو *(BACQUAXS)* [10]. وأخرى من نفس المقاطعة، عثر عليها في كاستيلوم ديانس (مشتة ملّول) *(Castellum Dianense)* تحمل رقم 08704 VIII *CIL*[11] ذكر فيها اسم باكواريوس بالصيغة النحويّة للمضاف إليه *(BACUARI)*، بالإضافة إلى نقيشة قريبة من منطقة الدراسة، عثر عليها بنوميديا في برج ساقية الرّوم بسيرتا (قسنطينة) تحمل الرقم 07420 VIII *CIL* [12] ومؤرخة ما بين 171-230م ، تحمل اسم باكواس (BACQUAS).

3.3. أصل تسمية مغارة الطاية:

أطلقت عدة تسميات لهذه المغارة، ولكل تسمية معنى، حيث أعطيت تسمية مغارة الطاية نسبة للجبل الذي تقع فيه أي جبل الطاية، كما سُميت أيضا بمغارة بكاكس نسبة للنقيشات اللاتينية المنحوتة على جدران المغارة والتي تتضمّن اسم المعبود بكاكس بعدّة صيغ، لاسيما *(BACACI, BAS, BAC)*، ومن هنا يمكن القول بأنها أخذت اسم المعبود المبجّل فيها.

كما يطلق عليها اسم غار الجماعة وتتوافق هذه التسمية مع الفترة الاستعمارية، أين كان المجاهدون يختبئون داخل قاعات المغارة، في حين هناك قاعة تدعى قاعة الجماعة ومن هنا جاءت تسمية غار الجماعة[13].

كما نجدها بصيغة غار الجامع، وهذه التسمية ظهرت في الفترة الاستعمارية أيضا، حيث كان يلتقي بالمغارة مجموعة من الأشخاص يوم الجمعة للقيام بصلاة الجمعة[14].

وقد لاحظنا بمقاربة اثنوغرافية أنّ في أرياف ولاية الطارف، هناك العديد من أضرحة الأولياء الصالحين مازال السكان يزورونها للتبرّك بها واشعال البخور وحرق الشموع بداخلها، وتدعى هذه الأماكن من طرف سكان المنطقة بالجامع، وحين استفسرنا عن هذه التسمية لدى كبار السن، قيل لنا أنها لا تحتوي على مسجد ولا جامع، بل هي مجرد تسمية تطلق على الأماكن الجنائزية الطقوسية للأجداد المتبرّك بهم.

الشيء نفسه يكون قد اعتمد في مغارة الطاية أين عُرِّب المكان الطقوسي بلمسات إسلامية وأصبح مكان تعبدي، ومن هنا يمكن القول أنّ مغارة الطاية حافظت على طابعها الديني الى غاية فترات متأخّرة تتطلّب من الباحثين في علم الأنثروبولوجيا التطرّق لهذه المسألة بحكم وجود استمرارية في الممارسات الطقوسية عبر الزمن لبعض المزارات بشعائر وممارسات تتماشى وطقوس الديانات المتوافدة.

4. تاريخ تقديس المعبود بكاكس بمغارة الطاية:

اعتُبر المعبود بكاكس إلهًا محليا ذو أصول ليبية بناء على صيغة اسمه، التي لم تنسب إلى الأنوماستية الرومانية ولا الفينيقية وإنما الليبية، وقد قمنا بتفصيله في فقرة أصل التسمية للمعبود. لكن ليست هناك أيّ أدلّة تثبت عبادته من طرف السكّان المحليين في فترات تسبق القرن الثالث الميلادي، ومن هنا يمكن الاعتقاد أن المعبود بكاكس، ربما كان يعبد سابقا لكن بطريقة وممارسات شفوية، لم تترك آثرا مادّيا داخل المغارة، وهذا السلوك معهود لدى السكّان المحليين المتّسم بالشفوية عموما. لم يعرف بكاكس انتشارا واسعا بمنطقة شمال إفريقيا، وإنّما ذُكر اسمه وقُدّس بهذه المغارة فقط، كما وضّحَته النقيشات اللاتينية المنجزة على جدران

المغارة منذ سنة 210 م إلى غاية 284م. وهي نقيشات ذُكر فيها اسم المعبود بكاكس بثلاث صيغ مختلفة.

يبدوا أنّ بكاكس لم يعرف شعبية واسعة في بداية الأمر، وربما هذا ما يفسّر كتابته كاملا، على هذا النحو: (*Bacaci*)(الصورة 6) في النقيشات الأولى، المؤرخة بين 210م و227م والموجودة على الجدار الأيسر بمدخل المغارة مباشرة. ولمّا عَرف شعبية واعتيد عليه، اختصر اسمه في ثلاث أحرف على هذا النحو (*BAC*) (الشكل 6) منذ 214 الى 241م، كما كُتب أيضا على نحو (*BAS*) (الصورة 7) منذ 218 م إلى 283م[15]، وهذا ما يوضّحه الجدول التالي المتضمّن صيغ كتابة اسم المعبود وتأريخ كل واحدة منها (الجدول 2).

الجدول 2: يمثّل النحو الذي كتب عليه اسم المعبود بكاكس

الصيغة التي كتب بها اسم المعبود بكاكس	تاريخ النقيشات	رقم النقيشات (*ILAlg-02-02*)
BACACI AVG. SAC.	210, 211, 212, 213, 215,	4502, 4503, 4504, 4505,
	227.	4507, 4515.
BACACI SAC.	?	4568.
BACACI AVG.	?	4574.
[B]A[CA]CI	?	4569-4570.
BAC. AVG. SAC.	214, 217, 241	4508, 4528..4506
B.A.S.	218, 221, 225, 229, 231,	4509, 4510, 4513, 4516,
	234, 235, 236, 236, 237,	4518, 4520, 4521, 4522,
	240, 242, 243, 244, 244,	4523, 4525, 4527, 4530,
	245, 247, 250, 254,	4531, 4532, 4533, 4534,
	259, 260, 268, 268,	4536, 4538, 4542, 4544,
	281, 283.	4545, 4546, 4547, 4548,
		4555, 4556,
	تاريخ النقوش التي تحتها خط غير معروفة	4560, 4562, 4563, 4564,
		4565, 4566, 4567, 4571,
		4572, 4573.

المصدر: [16] KAABIA R., Sous presse, P.5.

الصورة 6: نموذج لاسم المعبود كاملا Bacaci .

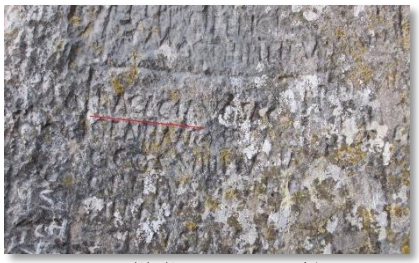

المصدر: تصوير الطالبة

الصورة 7: نموذج لاسم المعبود مختصرا على صيغة .B.A.S

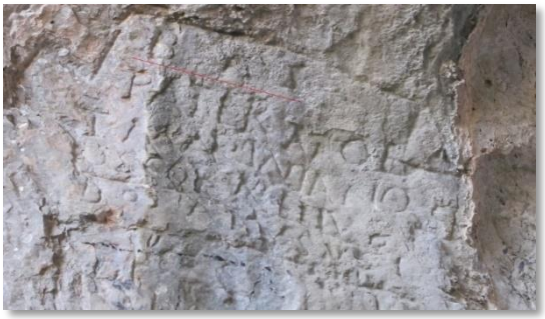

المصدر: تصوير الطالبة

الشكل 6: نموذج لاسم المعبود مختصرا بصيغة[17] .B.A.C

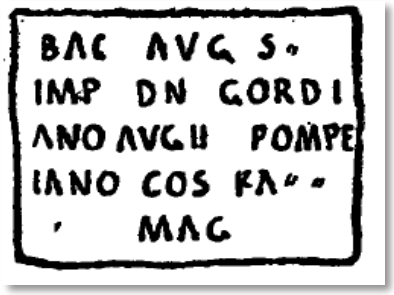

المصدر: ALQUIER J. et P., 1929, P.144

إنّ تأريخ إهداءات تيبيليس ودوتينس المنقوشة على جدران مغارة الطاية، تمّ بفضل ورود أسماء في متنها لإمبراطوريين أو قنصلين اثنين وأحيانا أخرى لاسم إمبراطور وقنصل.

1.4. طبيعة المعبود بكاكس بمغارة الطاية:

من خلال هذا العنصر سوف نعطي تفسيرا خاصا للتساؤل المطروح حول ماهية طبيعة المعبود بكاكس بمغارة الطاية، من خلال الدراسة الايبيغرافية للكتابات المنقوشة على جدرانها،

وأيضا من خلال الدراسة التحليلية لها وتشغيلها وربطها ببعض المعطيات التاريخية ذات الصلة بموضوع البحث. فمن خلال تفحصنا لنقيشات مغارة الطاية سواء أكانت إهداءات من طرف التيبيلسيون أم الدوتنسيون، لاحظنا بأنّ هناك عددا معتبرا منها، أُعطيَ لها تأريخا مطلقا ودقيقا بالسّنة والشهر وحتى باليوم، وكنموذج عن هذا نذكر:

-Bacaci / Aug(usto) sac(rum) / Faustino / et Rufino co(n)s(ulibus) / p(ridie) Kal(endas) Apr(iles) / M(arcus) Baebius Felix / [Qu]intillus et / M(arcus) Cominius / Maximus / magg(istri) Thib(ilitanorum)[18]

أرخت هذه النقيشة بسنة 210م من خلال ذكر اسم القنصلين، والشهر واليوم من خلال ذكر *APRILES KALENDAS PRIDIE*، والتي تعني يوم قبل شهر أفريل، أي 31 مارس. أمّا فيما يخص التأريخ الكامل للنقيشات الأخرى فنوضّحها في الجدول 3:

جدول 3: النقيشات المؤرخة تأريخا مطلقا باليوم والشهر والسنة.

اليوم والشهر	السنة	رقم النقيشة (ILAlg-02-02)
27 فيفري	279	4554
31 مارس	210, 213, 214, 215, 218, 221, 225, 231, 232, 234, 235, 237, 239, 240, 252, 260.	4502, 4505, 4506, 4507, 4509, 4510, 4513, 4518[19], 4519, 4520, 4521, 4525, 4526, 4527, 4539, 4545.
1 أفريل	212, 250, 283, 286, السنة غير مذكورة	4504, 4538, 4549, 4556, 4563.
26 أفريل	254	4542.
30 أفريل	244, 259	4532, 4544.
1 ماي	223, 227, 236, 242, 243, 245, 246.	4512, 4515, 4524, 4530, 4531, 4534, 4535.
8 ماي	211	4503.

المصدر:.KAABIA R., Sous presse P.16

من خلال التأريخ الكامل لبعض النقيشات، لاحظنا بأنّ هناك عدد معتبر منها أرّخت بشهر أفريل من السنوات الممتدة من 212م الى غاية 259م، حيث عرف هذا الشهر بالعديد من

الاحتفالات ذات علاقة بالموسم والدورة الزراعية والنشاط الرعوي، مثل احتفال *ROBIGALIA*، *CEREALIA*، *FORDICIDIA*، *PARILIA*، *VINALIA*.

- روبيقاليا ROBIGALIA: ذكرت هذه الاحتفالية في مصدر روعات أوفيد (fastes d'Ovide)، وهي احتفال ديني ترتبط بالموسم الزراعي يقام كل 25 أفريل، حيث يقوم الكاهن بالتضرّع والتوسّل إلى المعبودة Robiga لإنقاذ الزرع من وباء صدأ الحبوب الذي يحدث خلال فصل الربيع وذلك بإهداء كلبة محروقة للمعبودة المسيطرة على هذه الآفة[20].

-*CEREALIA*: هي أيضا احتفالية دينية مرتبطة بالموسم والدورة الزراعية تبدأ من 12 أفريل إلى غاية 19 أفريل وطيلة هذه الفترة تقام احتفالات لشرف المعبودة *Cérès* إلهة الزراعة وخصوبة المواشي، حيث يقومون بتقديم المواشي كقرابين وإهداء كعك بعسل النحل والحليب[21].

- فورديكيديا *FORDICIDIA*: هي كذلك احتفالية دينية تقام كل 15 أفريل، وجاء هذا المصطلح من كلمة *FERO* وتعني "يحمل" أي لها علاقة "بالحمل"، وبالتالي هذا الاحتفال له علاقة بالنشاط الرعوي، وهو خاص بخصوبة قطيع الأبقار، أين كانت تقدّم هذه الأخيرة كقرابين، وكانت صغارها تحرق ويستعمل رمادها لتطهير أنفس وأرواح المحتفلين لكي يستجاب لنذورهم[22].

- باريليا *PARILIA*: هي بدورها احتفالية دينية لها علاقة بالنشاط الرعوي تقام كل 21 أفريل لشرف المعبودة *Palés* معبودة رعاة المواشي (les bergers)، وحسب (OVIDE)، فإن هذا الاحتفال كان في الأصل يقام من طرف رعاة المواشي، حيث يقومون بإشعال النار والرقص حولها بهدف تخصيب قطعانهم، ثم أصبحت تقام بطريقة أخرى من خلال خلط رماد العجول المحروقة في احتفال *FORDICIDIA* مع دم حصان وقرون الفول[23].

- فيناليا *VINALIA*: هو احتفال روماني مرتبط هو الأخر بالموسم الزراعي يقام في 23 أفريل، وهو احتفال خاص بالنبيذ[24].

من ضمن نقيشات الطاية، تسعة (9) منها، تتضمن صيغ الوفاء بتحقيق النذر *solvtio*، وهي ممارسة تقام بعد تقبّل المعبود لمطالب وأماني المهدي، ليقوم هذا الأخير خلال الاحتفاليات بتقديم قرابين مختلفة وهي في غالبية الأحيان عبارة عن أضاحي. وحسب رأي مريم سباعي (SEBAI M.) التي ترى بأنه، لا يمكن اعتبار النقيشات نذرية إلاّ إذا كانت تتضمّن إنجاز الوعد بالنذر، أمّا باقي النقيشات فيمكن اعتبارها هبات مهداة لدعوة الآلهة للتدخل بصورة إيجابية[25]. ووردت هذه النقيشات على جدران مغارة الطاية بالصيغ المبيّنة في (الجدول 4):

جدول 4: صيغ العبارات النذرية بمغارة الطاية.

صيغ العبارات النذرية	رقم النقيشة (ILAlg-02-02)
S V A	4508
VOM ANIMO	4540
VOTUM SOLVUERUNT	4543
V S L A	4561
V S L A	4563
V S L M	4564
S L A V	4567
V S L M	4571
V S L A	4574

المصدر: من إعداد الطالبة

ونعطي مثاليين عن كل صيغة منها وهي كما يلي:

V.S.L.A.: Votum Solvit Libens Animo.

B(acaci) A(ugusto) s(acrum) / Ianuarius / ma(gister) q(uin)q(uennalis) K(alendis) A(prilibus) v(otum) s(olvit) / l(ibens) a(nimo)

V.S.L.M.: Votum Solvit Libens Merito.

B(acaci) A(ugusto) S(acrum)/ C(aius) Ililus / Paulinus/ V(otum) S(olvit) L(ibens) M(erito).

إن كل من عباراتي *V.S.L.A.*، و *V.S.L.M.* تعنيان: "قدّم النذر بقلب طيّب" وهذه العبارة تستعمل عندما يحقّق المعبود أمنية صاحب الدعوة أو الأمنية، وهي عبارة عن رد للجميل.

بناءً على هذه المعطيات يمكن القول أنه، ليست هناك صُدفة بين تزامن فترة تقديس المعبود بكاكس من جهة، وفترة الاحتفالات التي كانت تقام والتي لها علاقة مباشرة بالموسم الزراعي والنشاط الرعوي من جهة أخرى.

إلى جانب هذا أُرّخت نقيشات مغارة الطاية بالفترة الممتدة من 31 مارس الى غاية 1 ماي، أي طيلة 32 يوما[26] ، وهذه الفترة تتوافق مع نهاية فصل الرطوبة والبرد وبداية الارتفاع التدريجي للحرارة ونقص منسوب الأمطار، أي المرحلة التي تتوافق مع حلول فصل الربيع، ونمو المحاصيل الزراعية، لاسيما الحبوب وبروز سنابلها، ووفرة الغطاء النباتي من أعشاب وأزهار

وكلأ للحيوانات وما توفّره من منتوجات الحليب ومشتقاته وعسل النحل، وأيضا هي فترة تخصيب قطيع الأبقار.

وعلى هذا الأساس إن طبيعة المعبود بكاكس المقدس بمغارة الطاية، هو معبود خاص بالنشاط الزراعي والرعوي. بدليل تاريخ موعد تقديس هذا المعبود تتماشى فترته مع الرزنامة الاحتفالية الرسمية ذات الصلة بالدورة الفلاحية والرعوية. بالإضافة إلى هذا هناك نقيشة بالمغارة توضح علاقة بكاكس بالنشاط الزراعي وهي كالتالي:

[Ba]caci Aug(usto) s(acrum) / pro salute / B[--] Aureliae / Br[--]enti sororius / Cr[is]pus Ianua[r]/ius procura/tor v(otum) s(olvit) l(ibens) a(nimo)[27]

قدّمت هذه النقيشة من طرف زوج أخت، أو ابن أخت *Aureliae*، تتضمن تشكرات صاحب النذر الذي تم تحقيق دعوته وطلبه من المعبود بكاكس. حيث تحتوي هذه النقيشة على عبارة (*Procurator*) الذي يرى بخصوصها رضا كعبية، أن (Aureliae) قد تكون صاحبة عقار فلاحي خاص، وكان (*Crispus Ianuarius*) قائما على هذه المستثمرة الفلاحية[28].

على إثر هذا يمكن القول بأن تقديم النذر كان دون شك له صلة بالمنتوجات الفلاحية التي أتت بوفرة بعد تحقيق أمال ودعوات الناذر، وهذا ما قد يؤكد علاقة المعبود بكاكس بالنشاط الفلاحي وإشرافه عليه.

إن الاحتفاليات بالموسم الزراعي، لاسيما منه ذلك النشاط المرتبط بفصل الربيع، فإن عاداته وتقاليده بقيت متداولة في منطقة قالمة إلى وقت ليس بعيد، إن لم نقل إلى غاية يومنا هذا، ففي الأرياف يقوم السكان باحتفاليات تتمثّل في رمي نبات العنصل المُخضر فوق سقف البيوت، وتحضير خبز منزلي دائري الشكل يطلق عليه اسم "القرصة"، تمنح للأطفال لتكويرها في الحقول، كما يُحضّر كعك يدعى "بالبراج" ذو شكل مُعيّن. وتجدر الملاحظة بأن اسم البراج في منطقة الجلفة وبوسعادة يسمى "بالذكّار" بمعنى التلقيح، وهنا نتساءل إن لم تكن هناك علاقة بين هذه العادات المقامة في فصل الربيع ومسألة تلقيح وتخصيب الحيوانات والنباتات لوفرة منتجاتها ومشتقّاتها والتي كان يحتفل بخيراتها في الفترات القديمة وحتى يومنا هذا.

- خاتمة:

يمكن القول إن لمغارة جبل الطاية بقالمة مكانة هامة باحتلالها موقعا استراتيجيا، ذو مؤهّلات بيئيّة تتوافق مع جميع المتطلبات الحيويّة لاستقرار الإنسان في المنطقة، وسمحت الظواهر الطبيعية خاصّة منها العاملين الجيولوجي والطبوغرافي ببروزها وانفتاح مدخلها نحو الخارج، والتي سرعان ما تحوّلت من ظاهرة طبيعية إلى مكان تعبدّي مبجّل من طرف المجتمع المحليّ بما كانت تمليه عليهم معتقداتهم من تقديس المظاهر الطبيعية ذات الصلة بالتضاريس

كالجبال والانكسارات والملاجئ والكهوف. أقيمت فيه خلال القرن الثالث ميلادي طقوس دينية لشرف المعبود بكاكس من طرف ماجيسترا تيبيليس ودوتينس، شهدت عليها مجموعة من النصوص النذرية نقشت على جدران المغارة

بينت نقيشات الطاية، على أن المعبود المقدس بمغارتها، سمي ب "بكاكس" ابتداء من سنة 201 م وهو تاريخ أقدم نص نذري كتب بداخلها، وبقي نفس المعبود مقدسا بهذه المغارة طيلة 14 سنة لتنقطع الاهداءات الكتابية نهائيا سنة 204 م. حيث لا نعلم إن تواصلت ممارسة تقديس هذا المعبود بعد هذا التاريخ دون ترك آثار مادية في المكان. أضفت الدراسة على معرفة آليات تقديم الإهداءات التي قام بها حكام (ماجيسترا) باسم مجتمعاتهم المحصورة على التيبيليسين والدوتنسيين دون غيرهم من البلدات والسكان المجاورون، وهذا ما تطرقنا إليه من خلال صلة مغارة الطاية بالمجتمعين المذكورين.

حالفنا حظ نقش أسماء بعض الأباطرة والقناصل، المعيّنون سنويا في روما، بمعرفة سنة إنجاز الكتابات التي تضمّنت أحيانا ذكر اليوم والشهر اللذان يتوافقا مع فصل الربيع، مما فتح لنا الباب لإجراء إسقاط على ما حدث من احتفاليات خلال هذا الفصل في الفترة الرومانية. والتي استخلصنا منها بأن المعبود بكاكس كان معبودا ذو علاقة بكل ما له صلة بتخصيب الأرض والحيوانات وما توفره من رزق لكافة سكان مجتمعي تيبيليس ودوتينس.

ونظرا للأهمية الطبيعية لمغارة الطاية المتواجدة في بيئة جبلية خلابة، وكذا الأهمية الأثرية للنقيشات المدوّنة على جدران المغارة، والتي روت حقبة تاريخية عن الجانب الديني للمجتمع المغاربي القديم بتفاصيل هامة وشيقة في نفس الوقت. تستدعي الأخذ بعين الاعتبار هذا الموقع، الذي تدهورت حالة حفظه في السنوات الأخيرة، بفعل تعبيد الطريق المار بجواره والذي انجر عنه إقبال جمع من الزوار الذين أثروا سلبا على سلامة النقيشات عن طريق الكتابة فوقها بمختلف أنواع الدهن، وحتى النقش على واجهات المغارة، وإنجاز بوابة سلبية المنظر تؤثر على الجانب الجمالي للمغارة، كما يؤثر صدأ قضبانه الحديدية على تدهور التركيبية الكلسية، بفعل العوامل الطبيعية مع مرور الزمن.

- الإحالات والهوامش:

[1] - Carte topographique de Hammam Meskoutine , F^lle N° 53, échelle 1/50 000^e. Service géographique de l'armée, révisé en 1928.

[2]- Deleau P., Etude géologique des régions de Jemmapes, Hammam Meskoutine et du col des oliviers. Tome II - Atlas. Alger, 1938, fig. XXXIII.

[3]- BARONE R., Exploration et fouilles des grottes du Djebel Taya. Bulletin mensuel de la Société linnéenne de Lyon, 13^eannée, N°6, juin 1944. pp.83.84.

[4]- Ibid., P. 83.

[5]- BOURGUIGNAT J.R., Souvenirs d'une exploration scientifique dans le nord de l'Afrique, Vol. V. Histoire du Djebel-Thaya et des ossements fossiles recueillis dans la grande caverne de la mosquée, Paris. 1870, p.15.
[6]- CAMPS G., « Bacax », dans, Encyclopédie Berbère, N°9, Aix-en-Provence, Edisud.1991, P.1.
[7]- MERCIER G., Les divinités Libyques, dans, R.S.A.C., T.34, année1890, P.182.
[8]- MONCEAUX P., La grotte du dieu Bacax au Djebel-Taia. Revue archéologique, troisièmes série, T.8 (Juillet-Decembre1886) P.11.
[9]-*CIL* VIII 20702: [---] / *L*(*uci*) <*f=S*>(*ilia*), *Ar*(*nensi*), *Ba*/*quaxs v*(*ixit*) *a*(*nnos*) / *XXI. H*(*ic*) *s*(*ita*) *e*(*st*).
[10]- حياة بوسليماني، دراسة مكوّنات مجتمعات مدن موريطانيا القيصرية من خلال الكتابات اللاتينية في الفترة الممتدة بين القرنين الأول والثالث الميلادي، رسالة الماجستير، ص.311، معهد الأثار، جامعة أبو قاسم سعد الله- الجزائر، 2015-2016.

[11] -*CIL* VIII 08704 : *Aufidi Bacuari/vixit an(nos)*
[12] - *CIL* VIII 07420: *D(is) M(anibus) / Iulius Bac/quas v(ixit) a(nnos) LI / d(is) M(anibus) / Iulius Inge/nu(u)s v(ixit) a(nnos) XXI / h(ic) s(itus) e(st)*
[13]- تراث شفوي متداول لدى مواطني المنطقة.

[14]- BOURGUIGNAT J. R., Op. Cit. PP.5-6.
[15]- ALQUIER J. et P., Op. Cit., p. 132.
[16] - KAABIA R., Culte et lieu de culte de *Bacax* à *Thibilis* au III[e] siècle. P.5, Sous presse.
[17]- ALQUIER J. et P., Le Chettaba et les grottes à inscriptions latines du Chettaba et du Taya. Constantine, 1929, p. 144.
[18]- ILAlg-02-02.4502.
[19] - *pr(idie) k(alendas) [-].*231 التاريخ المحتمل هو 31 مارس

[20] - OVIDE, Fastes. IV, traduction, BOXUS A.M. et POUCET J., Très Riches Heures du Duc de Berry (XVe siècle), France, Février 2004, P. 279.
[21] - DEREMBERG Ch.et SAGLIO M., dictionnaire des antiquités grecques et romaines, T1, deuxième partie, université de Toulouse, 1887, p.p., 1020-1021.
[22] - OVIDE Op.-Cit, P. 622.

[23] - Ibid, P.723.
[24]- HOWATSON M.C., Dictionnaire de l'Antiquité : mythologie, littérature, civilisation, Paris, Robert Laffont, 1993, p. 1044.
[25]- SEBAI M., Etude sur le rituel dans le culte de Saturne en Afrique Romaine, dans, Cahiers du Centre Gustave Glotz, XXI, 2010, p.279.
[26]- دون أن ننسى ذكر نقيشتين أخرتين أحدهما مؤرخة بـ: 8 ماي وهي ذات تأريخ موافق لفئة نقيشات 31 مارس إلى 1 ماي، أما النقيشة الأخرى فهي بعيدة الموعد عن الاحتفاليات المعتادة وتعود لـ 27 فيفري279م، ربما يعود تقديم هذا التاريخ إلى تزامن هذه الفترة مع حجب منسوب كميات الأمطار وطلب الغيث.

[27]- ILAlg-02-02, 04561

[28]- KAABIA R., Op. Cit., p 16.

- قائمة المصادر والمراجع:

ALQUIER J. et P., Le Chettaba et les grottes à inscriptions latines du Chettaba et du Taya. Constantine, 1929.

BARONE R., Exploration et fouilles des grottes du Djebel Taya. Bulletin mensuel de la Société linnéenne de Lyon, 13eannée, N°6, juin 1944.

BOURGUIGNAT J.R., Souvenirs d'une exploration scientifique dans le nord de l'Afrique, Vol. V. Histoire du Djebel-Thaya et des ossements fossiles recueillis dans la grande caverne de la mosquée, Paris. 1870.

CAMPS G., « Bacax », dans, Encyclopédie Berbère, N°9, Aix-en-Provence, Edisud.1991.

Carte topographique de Hammam Meskoutine , Flle N° 53, échelle 1/50 000e. Service géographique de l'armée, révisé en 1928.

CIL VIII

DELEAU P., Etude géologique des régions de Jemmapes, Hammam Meskoutine et du col des oliviers. Tome II - Atlas. Alger, 1938.

DEREMBERG Ch.et SAGLIO M., dictionnaire des antiquités grecques et romaines, T1, deuxième partie, université de Toulouse, 1887.

HOWATSON M.C., Dictionnaire de l'Antiquité : mythologie, littérature, civilisation, Paris, Robert Laffont, 1993.

ILAlg-02-02.

KAABIA R., Culte et lieu de culte de *Bacax* à *Thibilis* au IIIe siècle. P.5, Sous presse.

MERCIER G., Les divinités Libyques, dans, R.S.A.C., T.34, année1890.

MONCEAUX P., La grotte du dieu Bacax au Djebel-Taia. Revue archéologique, troisièmes série, T.8 (Juillet-Decembre1886.

OVIDE, Fastes. IV, traduction, BOXUS A.M. et POUCET J., Très Riches Heures du Duc de Berry (XVe siècle), France, Février 2004.

SEBAI M., Etude sur le rituel dans le culte de Saturne en Afrique Romaine, dans, Cahiers du Centre Gustave Glotz, XXI, 2010.

حياة بوسليماني، دراسة مكوّنات مجتمعات مدن موريطانيا القيصرية من خلال الكتابات اللاتينية في الفترة الممتدة بين القرنين الأول والثالث الميلادي، رسالة الماجستير، ص.311، معهد الأثار، جامعة أبو قاسم سعد الله– الجزائر، 2015–2016.

رومنة المصادر و المراجع العربية:

Ḥayāt bwslymāny, dirāsat mkwwnāt mujtama‘āt Mudun Mūrīṭāniyā al-Qayṣarīyah min khilāl al-kitābāt al-Lātīnīyah fī al-fatrah al-mumtaddah bayna al-qarnayn al-Awwal wa-al-thālith al-Mīlādī, Risālat al-mājistīr, Ṣ. 311, Ma‘had al-Āthār, Jāmi‘at Abū Qāsim Sa‘d allh-al-Jazā’ir, 2015-2016.